

## الجمعيات الدينية

وأثرها في مصر

للأستاذ أبو الوفا المراغي

تكثر الجمعيات الدينية في مصر كثرة تفوت الحصر ، والذي يقرأ الصحف والمجلات يقرأ منها كل يوم جديدا ، وتلفت نظره عناوينها الضخمة وأسماؤها الخلابة .

وليس من شك في أن هذه الجمعيات وإن كثرت عددها وتنوعت وسائلها إنما تسعى لغرض واحد ، وترى الى هدف مشترك ، وهو النهوض بالأمة دينيا وخلقيا واجتماعيا ، وهذا غرض من أنبل الأغراض ، وإذا خلصت له النيات ، وصحت فيه العزائم ، وقدر له النجاح ، كان له في إسعاد الأمة حظ وفير ، وقدر خطير .

غير أننا إذا ذهبنا لتلمس آثار هذه الجمعيات في إسعاد الأمة ومقدار نجاحها في الوصول إلى هذا الغرض ، أتعبنا البحث ، وصعب علينا أن ندرك تطور الأمة إلى الإصلاح بفضل هذه الجمعيات ، وتلك حالة تستلقت النظر وتستوجب البحث وتدعو إلى التساؤل ، وقد تخلص للباحث عن الأسباب في وقوف هذه الجمعيات دون غايتها أمور جديرة بالدرس والتأمل من القائمين على شؤونها والذين يهمهم أن تكون جمعياتهم ذات أثر وفائدة في إصلاح الأمة ورقبها الخلقى والاجتماعى ، وقد تكون جديرة بالدرس والتأمل من كل غيور على الدين حريص على كرامته وكرامة الذين يمتلونه ، ويستطيع الكاتب أن يجعل هذه الأمور في شيء واحد ، هو فقدان هذه الجمعيات للعناصر الضرورية لنجاحها في مهماتها ، وإذا أراد أن يفصل قال إن تلك الجمعيات ينتقصها عناصر لا بد منها في أداء رسالتها ، فكفاية القائمين بالجمعيات وإيمانهم بالفكرة التي يدعون إليها وإخلاصهم لها ونزاهتهم فيها والأناة وتخير الأوقات المناسبة للدعوة والتنفيذ والمعرفة بأساليب الدعاية والتأثير كل هذه عناصر لا شك في أهميتها لنجاح الجمعيات .

وكثير من الجمعيات الدينية في مصر تنقصها هذه العناصر كلها أو بعضها ، فجمهرة من يؤلفونها فقراء في مكاتبتهم العلمية ، وقل أن نجد بينهم من أتم مراحل الدراسة ، بل قعد به حفظه واستعداده عن المضى فيها وبلوغ غايتها ، والققر العلمى يدعو الى التعصب والمهارة . والخصام في جهالة وعناد ، وهم الى جانب ذلك لا يؤمنون عمليا بالمبادئ التي يدعون إليها ، وشر ما يتبل به الداعى أن يخالف قوله فعله " كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون " .

”أنامرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون“ . وإنما يحملهم على الانتظام في سلك الجمعيات حب الظهور وطلب الشهرة . وإذا فقد الاخلاص في الجمعيات فقد منها عنصر هو سر الحياة في الأعمال .

لهذا نرى جمعياتنا تبدأ على أشد درجة من الحماسة والنشاط ، غير أن هذه الحماسة لا تلبث أن تخمد جذوتها وتخبو وتتخفف حرارتها ويقل على إثر ذلك أعضاؤها ويظل عامل الفرض وحب الظهور يفتك بها فتنتشق الجمعية الى جمعيات ويتفرع الأصل الى فروع، وتتخذ الفروع أسماء تغاير أو تشابه أصولها حتى ليدعو بعض هذه الأسماء الى الخزي والأسف وتشيع من جراء هذا الشائعات حول الأعضاء ويكيل بعضهم لبعض التهم في غير تخرج ولا مبالاة في أقصى اللهجات وأعنف الأساليب .

ويعوز كثيرا من جمعياتنا معرفة الدعاة فيها بأساليب الدعوة والتهدى لها هدى القرآن وروح الاسلام، فدستور القرآن في الدعوة : ” ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن“ ، وعمل الرسول عليه الصلاة والسلام تطبيق عملي لهذا الدستور، ولقد ظل يدعو الى الإسلام سرا ثلاث سنين ولا يدعو إلا من تظلمن له نفسه، ويشق بأن يدع السر ليديه حتى استوثق لدعوته ثم جهر بها حين واثته الأحوال وتبأت له الأسباب وكان يخاطب كلاهما يناسبه، ولكل مقام عنده مقال ، وكتبه على هذا النحو من الصواب والحكمة فكتبه الى الأكاكسة والقياصرة غير كتبه الى أقيال اليمن وملوك العرب لفظا وأسلوبا .

وفي سير أئمة المسلمين وعلمائهم تعاليم نصصح من هذا المعين الطاهر . فقد نقل عن الشافعي أنه كان يرى أن تكون النصيحة في صفاء اذ كان ذلك أنجح لها وأسرع في قبولها . ومن أهم ما يفوت جمعياتنا تحير الوقت المناسب وتقدير الأحوال التي تحيط بالدعوة وبالمدعويين، وهذا عامل له أثره في نجاح الدعوة، وقد لوحظ في التشريع الإسلامي ملاحظة ظاهرة فقد تدرجت بعض الأحكام في التشديد حتى بلغت غايتها واستقرت على حالها الحاضرة، وقد كانت انخر مشروبا محببا الى العرب على ما هي عليه من الإثم والضرر فبين القرآن الكريم وجه الضرر فيها ثم حرمها في الصلاة فحسب ، ثم عمم التحريم، وعلى هذا الأسلوب جرت الشريعة في أحكام كثيرة .

ولست في حاجة الى بيان مقام الصبر من الأعمال ، والدعاة الدينون أشد الناس احتياجا إليه ، ولقد صبر محمد عليه السلام وصابر ، وضرب بصبر أيوب المثل .

هذه هي العوامل التي لا بد منها لنجاح الجمعيات، ولكنها تفوت كثيرا من جمعياتنا الدينية فتعوقها عن عملها وتقف بها دون غاياتها .

وبعد، فإنى لست ممن يكرهون الجمعيات ويحذون فضل الصالح منها في إنهاض الأمم وإسعادها ، ولكنى ممن يحبون دينهم ويفارون على كرامته ، ويبغضون أشد البغض من يعمل على تسويبه وتمكين خصومه منه، وكثير من الجمعيات في سورها الحاضرة من القوضى والاضطراب يسىء الى الدين ، ويعطى خصومه أقوى الأسلحة لمحاربتة والنيل منه، ومن حقنا بل من حق الأمة أن تطالب وزارة الشؤون الاجتماعية وحدها، أو بالاشتراك مع السلطات الدينية ، بحماية الدين من العبث والتشويه ، وأن تطالب بالناية بهذه الجمعيات فتفرض عليها نوعا من الاشراف والرقابة وتضع لها نظما وقواعد يكون من أهمها توافر الكفاية العلمية والخلقية فيمن يتصدون للنهوض بهذا العبء الذى تضطلع به هذه الجمعيات .

وليس على وزارة الشؤون الاجتماعية من حرج في تنفيذ هذه الرغبة، فقد عرفت الأمة الاسلامية هذا النوع من النظام لحماية الدين من العبث والقوضى ، ولم يبح علماء الاسلام رواية الحديث والفقه لمن يريد ، بل شرطوا فيمن يتعمل الحديث ويرويه ويحمل الفقه ويقفى به قدرا خاصا من الكفاية العلمية وقدرا خاصا من الأمانة والكفاية الخلقية . وتعرف وزارة الأوقاف الآن هذا النوع من النظام فلا تسمح بالخطابة والتدريس والوعظ في مساجدها إلا باذن خاص لمن تعرف صلاحيتهم لهذا الواجب .

وإنا — ونحن في انتظار ما تعمل وزارة الشؤون الاجتماعية — نسأل الله أن يتولى دينه بالحفظ ويمكن له في الأرض ويهدينا الى العمل بأحكامه .

أبو الوفا المراغى